دلالات همزة الاستفهام في سور الحواميم

ID No. 387

(PP 208 - 222)

https://doi.org/10.21271/zjhs.27.1.3

آودير أحمد عبد الله

قسم اللغة العربية / كلية التربية –شقلاوة/ جامعة صلاح الدين

awder.abdulla@su.edu.krd

الاستلام: 2022/06/28

القـبول: 2022/09/05

النـــشر: 2023/02/25

ملخص

يعد الاستفهام من أهم الأساليب الإنشائية الطلبية في اللغة العربية لا سيما الاستفهام بالهمزة، وذلك لكثرة ورودها في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، وكلام العرب شعراً ونثراً، كما أن تحديد دلالاتها شغلت الباحثين والدارسين في كثير من المجالات، لاسيما اللغويين والبلاغيين والفقهاء والأصوليين، لاتصال تلك الصيغ بالخطابات اليومية، وكذلك بالتحريم، والفرض، والوجوب، والجواز..، في المسائل الشرعية والفقهية والعقدية.

وهذه الدراسة محاولة لكشف الدلالات التي تؤديها همزة الاستفهام في سور الحواميم، وإن دراستنا تبدأ بتعريف المصطلحات الواردة في العنوان، ثم نبذة قصيرة حول سور الحواميم، ثم تخوض في الآيات التي وردت فيها همزة الاستفهام بغية الوصول إلى الدلالات التي تؤديها ضمن تلك السور.

الكلمات الافتتاحية: الدلالة، الهمزة، الحواميم، الاستفهام.

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، والصلاة والسلام على رسول الله الأمين محمد بن عبدالله ﷺ، وآله وصحابته ومن والاه، وبعد:

إن للغة القرآن الكريم أساليبها الخاصة والمتنوعة، ولكل منها طريقته وأغراضه ودلالته، منها، أسلوب الأمر والنهي، وأسلوب الاستفهام، وأسلوب التمني، وأسلوب النداء، وأسلوب الشرط، وأسلوب التعجب، وأسلوب المدح والذم، وغيرها من الأساليب التي لها دور بالغ في الكلام، حيث اهتم بها اللغويون وتناولوها في دراساتهم، ووقفوا عند أغراضها وخصائصها وما يؤديه كلّ أسلوب من دلالات ومعان.

وهذه الدراسة تسعى في الوصول إلى بعض الدرر اللغوية الكامنة وهي تتناول أسلوب الاستفهام في سور الحواميم، إذ يعدّ الاستفهام نمطا من أنماط الإنشاء الطلبي، وله أدوات كثيرة حرفية كانت أم اسمية، منها" الهمزة، وهل، وكيف، وأين.."، وقد تناول البحث هذا همزة الاستفهام؛ لكثرة استعمالها اللغوية ولتعدد معانيها ودلالاتها التي تخرج إليها، إذ تعدّ الأبرز حضورا في الخطابات اليومية، ولأجله اهتم بها أهل اللغة وعدّوها أم الباب في الاستفهام.

ومن هذا المنطلق، ولغاية تحديد دلالات همزة الاستفهام، تم اختيار عنوان "دلالات همزة الاستفهام في سور الحواميم" موضوعا لهذا البحث.

أما بالنسبة للدراسات السابقة، فحاول البحث الاستفادة من جهود المتقدمين والمحدثين في تجلية جوانب الدراسة ودلالات همزة الاستفهام، وعمل على جمع الإشارات المتناثرة في بطون كتب التفسير وكتب اللغة وعلوم القرآن، وتوظيفها في الدراسة. ومع هذا فهناك دراسات تناولت سور الحواميم، وهي مختلفة في مناهجها، منها ما ركزت على الجوانب النحوية، ومنها ما ركزت على الجوانب الصرفية،

أمـا أبـرز الدراسـات الـتي ركـزت عـلى الجوانـب الدلاليـة والبلاغيـة فهـي: "سـور الحـواميم، دراسـة بلاغيـة تحليليـة، رسـالة دكـتوراه عـام 20011م" للـدكتور "عبـدالقادر عبدالله فتحـي الحمـداني، وقـد تحـدث عـن جميع الجوانب البلاغية الواردة في تلك السور، لكن لم يفصل القول في دلالات همزة الاستفهام.

واعتمـد البحـث في هـذه الدراسـة عـلى المـنهج الوصـفي الإحصـائي، وذلـك بوصـف الظـواهر الـواردة في الدراسة، وإحصاء عدد تكرار همزة الاستفهام في سور الحواميم، ثم تحديد دلالاتها.

وقـد جـاءت الدراسـة في ملخـص ومقدمـة وتمهيـد ومبحثـين وخاتمـة، فقـد تضـمنت المقدمـة الموضـوع، وأسـباب اختيـاره، والدراسـات السـابقة، والمـنهج المتّبـع في هـذه الدراسـة، وخطـة الدراسـة، وخصـص التمهيـد لبيـان مصـطلحات الدراسـة، فـيما تنـاول المبحـث الأول الحـديث عـن أسـلوب الاسـتفهام: مفهومـه ودلالاتـه، وتضـمّن المبحـث الثـاني دلالات همـزة الاسـتفهام في سـور الحـواميم، أمـا الخاتمـة ففيهـا بيـان لأهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

1- بيان مصطلحات الدراسة

الدلالة لغة واصطلاحا:

لغة:

الدلالـة جـاءت مشـتقة مـن المـادة الأصـلية (د، ل، ل) جـاء في الكليـات أنهـا: "مصـدر كالكتابـة والإمـارة" (الكفـوي، 1998، 439)، يقـول الزمخشـري(ت 538 هـ): "دلّـه عـلى الطريـق، وهـو دليـل المفـازة وهـم أدِلاؤهـا، وأدْلَلـت الطريـقَ: اهـتديت إليـه.... ومـن المجـاز: "الـدالّ عـلى الخـير كفاعلـه ". ودلّـه عـلى الصرـاط المستقيم، ولي على هذا دلائل..." (الزمخشري، 1998، 295). أي: جاء بمعنى الإرشاد إلى الطريق.

وجـاء في مقـاييس اللغـة: " الـدال والـلام أصـلان: أحـدهما إبانـة الشيـء بأمـارةٍ تتعلّمهـا، والآخَـر اضـطرابٌ في الشيـء. فـالأوَّل قـولهم: دلَلْـتُ فلانـاً عـلى الطريـق. والـدليل: الأمـارة في الشيـء. وهـو بـيِّن الدَّلالة والدِّلالة " (ابن فارس، 1999، 211/2).

وبهذا يتبين لنا أن هذه المعاني كلها تصب في باب الاهتداء والإرشاد إلى الطريق، أو إلى الشيء.

الدلالة اصطلاحا:

أمـا مـن الناحيـة الاصـطلاحية فقـد عرفهـا الدارسـون بعـدة تعريفـات، واختلفـوا تبعـا لاخـتلاف عصرـهم من جهة، واختصاصاتهم من جهة أخرى.

فموقـف اللغـويين فـيما يخـص هـذا المصـطلح- بينـه "الجـاحظ" (ت 255 هـ) الـذي جعـل الدلالـة مرادفـة للبيـان عنـدما قـال": إن الدلالـة الظـاهرة عـلى المعنـى الخفـي هـي البيـان " (الجـاحظ، 1405هـ، 54). ومـن ثـم يكـون تعريفـه للبيـان تعريفـا للدلالـة أيضـاً فقـال عـن البيـان: "البيـان اسـم جـامع لكـل شيء كشـف لـك قنـاع المعنـى وهـتك الحجـاب دون الضـمير حـتى يفضيـ السـامع إلى حقيقـته، ويهجـم عـلى محصـوله كائنًـا مـا كـان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل" (المصدر نفسه، والصفحة نفسها).

وقـال "عـلي الجرجـاني" (ت 816 هـ) في تعريفاتـه: " الدلالـة هـي كـون الشيـء بحالـة يلـزم مـن العلـم بـه العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول.. " (الجرجاني، 1405هـ، 139).

وقد عرفها المحدثون على أنها "دراسة علم المعنى" (عمر، 1998، 13).

بهـذا يتبـين لنـا أن المعنـى الاصـطلاحي للدلالـة قريـب مـن معناهـا اللغـوي، مـن حيـث كـون الدلالـة في الاصطلاح هي أن يكون العلم بالشيء.

الهمزة لغة:

يقول "ابن منظور" (ت 711 هـ): "الهمز كاللمز والنهر وهو بمعنى: الدفع والضرب والضغط، ومنه الهمز في الكلام لأنه يضغط، ومن معنى الهمز كذلك الضغط والكسر والعيب.. وهمزته ولمزته ولهزته ونهزته إذا دفعته.. والهماز العيابون في الغيب.. وسميت الهمزة لأنها تهمز فتهت فتنهمز عن مخرجها، يقال: هو يهت هتا إذا تكلم بالهمز، وهمزات الشياطين خطراته الـتي يهزها

بقلب الإنسان (ينظر: ابن منظور، 1414هـ، 426/5). و منه قوله تعالى": (وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (97) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ) [المؤمنون: ٩٧ - ٩٨].

وقال "الزمخشري" في أساسه: " ومن المجاز: همز الرجل في قفاه: غمز بعينه. ورجل همزة وهمّاز. والشيطان يهمز الإنسان: يهمس في قلبه وسواساً، ويقال: أعوذ بالله من همسه وهمزه ولمزه" (الزمخشري، 1998، 380/2)

إذن، نستنتج من ذلك أن الهمزة في المعنى اللغوي جاءت على عدة معاني، منها: اللمز، الدفع، الضرب، والضغط، وكذلك الغمز..

الهمزة: اصطلاحا:

أما الهمزة اصطلاحا فعلينا الإتيان بأحد التعريفات ليتضح لنا مفهومها، يقول "الأزهري" (ت 370 هـ) في تعريفها: "اعْلَم أَن الهمزَة لَا هجاءَ لَهَا، إِنَّمَا تكْتب مرّة ألفا، وَمرَّة يَاء، وَمرَّة واواً. وَالألف اللينة لَا حَرف لَهَا إِنَّمَا هِيَ جزءٌ من مُدَّة بعد فَتْحة. والحروف ثَمَانِيَة وَعِشْرُونَ حرفا، مَعَ الْوَاو وَالْألف وَالْيَاء، وتتم بِالْهَمْزَةِ تِسْعَة وَعشْرين حرفا. والهمزة كالحرف الصَّحِيح، غير أَن لَهَا حالات من التَّلْيين والحَذْف والإبدال والتَّحقيق، تعتلّ فِيهَا، فأُلحقت بالأحرف المعتلة الجوف، وَلَيْسَت من الْجوف إِنَّمَا هِيَ حلقية فِي أَقْصَى الْحلق.. وَلها ألقاب كألقاب الْحُرُوف: فَمِنْهَا: همزَة التَّأْنِيث، والْهمزَة الأصليَّة، وهمزة الاستفهام.." (ينظر: الأزهري، 2001، 490/15).

إذن هو حرف مستقل، ويختلف عن الألف، ولها حالات من التليين والحذف والإبدال والتحقيق، ومخرجها أقصى الحلق.

التعريف بالحواميم

هي السور السبع المفتتحة بالحروف المقطعات "حم"، وهي السور ذوات الأرقام (40، 41، 42، 43، 44، 45، 46) في المصحف، أولها سورة "غافر التي عدد آياتها (85) آية، ثم فصّلت وعدد آياتها (5)آية، ثم الشورى وعدد آياتها (53) آية، ثم الزخرف وعدد آياتها (89)، ثم الدخان وعدد آياتها (59)، ثم الجاثية وعدد آياتها (37)، وآخرها سورة "الأحقاف التي عدد آياتها (35).

جاء في "التحرير والتنوير": "جُمِعَتِ السُّوَرُ الْمُفْتَتَحَةُ بِكَلِمَةِ "حم" فَقِيلَ الْحَوَامِيمَ جَمْع تَكْسِيرٍ عَلَى زِنَةِ فَعَالِيلَ، لِأَنَّ مُفْرَدَهُ عَلَى وَزْنِ فَاعِيلٍ وَزْنًا عَرَضَ لَهُ مِنْ تَرْكِيبِ اسْمَيِ الْحَرْفَيْنِ: حَا، مِيمٍ، فَصَارَ كَالْأَوْزَانِ الْعَجَمِيَّةِ مثل (قابيل)، و (راحيل)، وَمَا هُوَ بِعَجَمِيٍّ لِأَنَّهُ وَزْنٌ عَارِضٌ لَا يُعْتَدُّ بِهِ. وَجَمْعُ التَّكْسِيرِ عَلَى فَعَالِيلٍ يَطَّرِدُ فِي مِثْلِهِ. وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُمْ جَمَعُوا حم عَلَى حَوَامِيمَ فِي أَخْبَارٍ كَثِيرَةٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَسَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ، وَنُسِبَ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ إِلَى النَّبِيِ ﷺ وَلَمْ يَثْبُتْ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ. وَمِثْلُهُ السُّوَرُ الْمُفْتَتَحَةُ بِكَلِمَةِ طس أَوْ طسم جَمَعُوهَا عَلَى طَوَاسِينَ بِالنُّونِ تَغْلِيبًا" (ابن عاشور، 1984، 24/76-77).

ويقول "سعيد حوى": "إن حرص بعض السلف على تسمية السور المبدوءة بـ (حم) آل حم يشير إلى أنهم اعتبروا هذه السور السبع أسرة واحدة وزمرة واحدة. وهذا لا ينفي أن تكون هذه السور مجموعات. فكما أن السورة المبدوءة بـ (الر) أو (الم) لم تشكل مجموعة واحدة مع أنها زمرة واحدة فكذلك هنا." (حوى، 1424هـ، 4927/6).

وهي سور مكيّة، كما جاء في "روح المعاني": " إن الحواميم ترتيب لاشتراكها في الافتتاح بحم وبذكر الكتاب وأنها مكية بل ورد عن ابن عباس وجابر بن زيد أنها نزلت عقب الزمر متتاليات كترتيبها في المصحف " (الآلوسي، د.ت، 39/24).

أما حول موضوعات ومضامين تلك السور، فكما أن بينها التشاكل والاشتراك في صفات عديدة من حيث الشكل، كذلك توافقت هذه السور في مجموعة من المعاني والمضامين، ونلخص أيضا ما أشار إليه الحمداني في كتابه في العناوين التالية:

- تنزيل القرآن وصفاته .
- النعم الإلهية.
- قصص الأنبياء والأمم السابقة.
- خطاب الرسول ﷺ
- الإنسان، والإيمان والكفر.
- مشاهد القيامة ترغيبا في الجنة وترهيبا من النار.
- ذكر المؤمنين وصفاتهم، والكافرين ومواقفهم.
- قواعد إيمانية.

فكانت الحواميم بهذا التشاكل المتنوع روضات دمثات تتوق النفوس للتفيؤ في ظلالها والاستزادة من منهلها العذب (ينظر: الحمداني، 2011، 11).

2- أسلوب الاستفهام: مفهومه، ودلالاته:

أسلوب الاستفهام:

إن أسلوب الاستفهام من الأساليب الإنشائية الطلبية، تناوله النحويون، وكذلك البلاغيون ضمن علم المعاني، ويعد هذا الأسلوب من أكثر الأساليب الإنشائية الطلبية استعمالاً في القرآن الكريم، وذلك لقدرته على إيصال الدلالات والمعاني للمخاطبين، ولأنه من أجود وأضبط الطرائق التعليمية.

الاستفهام لغة:

الاستفهام أصله مشتق من مادة "فهم"، جاء في "العين": " فَهِمْتُ الشَّيء [فَهَماً وفَهْماً]: عَرَفْتُه وعَقَلْتُه، وفهّمتُ فلانا وأَفْهَمْتُه: عَرَّفْته.." (الفراهيدي، د.ت، 61/4).

وجاء في "لسان العرب": " الفَهْمُ: مَعْرِفَتُكَ الشَّيْءَ بِالْقَلْبِ. فَهِمَه فَهْماً وفَهَماً وفَهامة: عَلِمَه؛ الأَخيرة عَنْ سِيبَوَيْهِ. وفَهِمْت الشَّيْءَ: عَقَلْتُه وعرَفْته. وفَهَّمْت فُلَانًا وأَفْهَمْته، وتَفَهَّم الْكَلَامَ: فَهِمه شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ. وَرَجُلٌ فَهِمٌ: سَرِيعُ الفَهْم، وَيُقَالُ: فَهْمٌ وفَهَمٌ. وأَفْهَمه الأَمرَ وفَهَّمه إِيَّاهُ: جَعَلَهُ يَفْهَمُه. واسْتَفْهَمه: سأَله أَنْ يُفَهِّمَه. وَقَدِ اسْتَفْهَمَني الشيءَ فأَفْهَمْته وفَهَّمْته تَفْهِيمًا" (ابن منظور، 1414هـ، 459/14).

نلاحظ من هذين التعريفين أن الاستفهام يقترن بمعان تكاد تنحصر في: الفهم، والمعرفة، والعقل..

وقد أطلق "ابن فارس" (ت 395 هـ) في "الصاحبي"، اسم الاستخبار على الاستفهام في قوله: "الاستخبارُ طلب خبر ما ليس عن المستخبر، وهو الاستفهام" (ابن فارس، 1997، 134).

وجاء في "المعجم الوسيط": " فَهَّم : الشخص الأمر جعله يَفهَمَهُ والفهم: تصور الشيء للشيء وإدراكه والإحاطة به. الفهيم : "جمع فهماء" صاحب الفهم" (أحمد وآخرون، 2008، 409).

ويقول "محمد أبو موسى": " الاستفهام: الهمزة والسين والتاء تفيد معنى الطلب في هذه الكلمة والمطلوب هو الفهم. والفهم يعني حصول صورة المراد فهمه في النفس وإقامة هيأته في العقل وهو طلب حصول صورة الشيء في الذهن " (أبو موسى، 1987، 203-204).

يتضح من خلال التعاريف اللغوية السابقة أن الاستفهام يصب في وعاء الفهم والعقل والمعرفة والاستخبار.

الاستفهام اصطلاحا:

أما تعريفه اصطلاحا فقد تنوع وتعدد وجميعها متقاربة تصب في وعاء واحد، فمثلا:

عرّفه "التفتازاني" (ت 793 هـ) بقوله: "هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن" (التفتازاني، 2013، 409).

وعرفه "علي الجرجاني" في "التعريفات" بقوله: " الاستفهام استعلام ما في ضمير المخاطب، وقيل: هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن، فإن كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين الشيئين أو لا وقوعها فحصولها هو التصديق، وإلا فهو التصور " (الجرجاني، 1405هـ، 37).

أو هو: " طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل " (الهاشمي، د.ت، 78).

أو "هو طلب معرفة اسم الشّيء، حقيقة، أو عدده، أو صفة من صفاته، أو غير ذلك" (يعقوب، 1993، 39).

وقال "الميداني": " هو من أنواع الإنشاء الطّلبي، والأصل فيه طلَبُ الإفْهامِ والإعْلامَ لتَحْصِيلِ فائدةٍ عمليّةٍ مجهولةٍ لدَى الْمُستَفْهِم. وقَد يُراد بِالاستفهام غيرُ هذا المعنى الأصليّ له، ويُسْتَدلُّ على المعنى المراد بالقرائن القوليّة أو الحالية" (الميداني، 1996، 258/1).

والطلب في أسلوب الاستفهام يتباين مع أقسام الطلب الأخرى، يقول "السكاكي" (ت 626 هـ) في هذا الصدد: "والفرق بين الطلب في الاستفهام وبين الطلب في الأمر والنهي والنداء واضح، فإنك في الاستفهام تطلب ما هو في الخارج، ليحصل في ذهنك نقش له مطابق وفيما سواه تنقش في ذهنك، ثم تطلب أن يحصل له في الخارج مطابق فنقش الذهن في الأول تابع، وفي الثاني متبوع" (السكاكي، 1987، 304/1).

إذن الاستفهام في مفهومه الاصطلاحي قريب من معناه اللغوي، إذ هو طلب العلم والفهم ومعرفة الشيء من الآخر، سواء كان هذا الطلب حقيقيا من مستفهم لا يعلم، أم لغرض يبتغيه المستفهم رغم علمه.

أنواعه:

للاستفهام نوعان: أحدهما حقيقي، والآخر مجازي:

أما الاستفهام الحقيقي: هو الذي يقصد به السؤال عن شيء مجهول للمتكلم حقيقة، ويريد أن يعرفه (حسن، د.ت، 598/3). والمراد بالحقيقي هو المعنى الأصلي الذي به جاء به في الكلام، والغرض الأصلي منه هو الاستفهام، والاستفهام – كما هو معلوم – هو طلب الفهم من المخاطب بشيء لم يكن معلوما من قبل بأدوات خاصة.

أو "يتوخى به صاحبه معرفة ما يجهله - أما الاستفهام المجازي- فقد يكون السائل عالماً فيه بما يسأل عنه، لكنه يقصد فيه معنى من المعاني المجازية التي يفهمها المتلقي من السياق اللغوي عند تأمل النص، وفقهه، وسبر ما يكمن وراءه من معان وأسرار، وهذه المعاني المجازية ثرية ومتنوعة تتسع لشتى ضروب الفكر، ومختلف أحوال المشاعر (فاعور، 2006، 76).

أدواته:

للاستفهام أدوات متعددة، ومختلفة في تصنيفها، يقول "الهاشمي": وأدوات الاستفهام:

(الهمزة، وهل، وما، ومتى، وأيان، وكيف، وأين، وأنى، وكم، وأي، أم).

وتقسم بحسب الطلب إلى ثلاثة أقسام:

أ- ما يطلب به التصور تارة، والتصديق تارة أخرى، وهو - الهمزة.

ب- وما يطلب به التصديق فقط، وهو - هل.

ج- وما يطلب به التصور فقط، وهو بقية أدوات الاستفهام" (الهاشمي، د.ت، 78)

ويقول الدكتور فضل حسن عباس: " وأدوات الاستفهام إحدى عشرة أداة، حرفان: هما الهمز، وهل. وتسعة أسماء: وهي: من، ما، متى، أين، أيان، أنّى، كيف، كم، أيّ" ثم يقول: "اعلم أن هذه الأدوات تنقسم من حيث المستفهم عنه إلى أقسام ثلاثة:

1- منها ما يستفهم به عن الحكم. وهو إثبات شيء لشيء، أو نفيه عنه، فتقول: هل تحب العلم؟ هل يسافر أخوك؟. وهذا الذي يعبرون عنه بالتصديق وهو إدراك للنسبة بين أمرين.

2- ما يستفهم به عن مفرد، تقول مثلاً: ما البرُ؟ فيقال له: القمح، وهذا ما يسمونه التصور.

3- ما يستفهم به عن هذين معاً، أعني: عن القضية التي فيها إثبات حكم أو نفيه، وهو التصديق، وعن المفرد الذي هو التصور. وهذا القسم الذي يستفهم به عن التصور والتصديق هو الهمزة، أما الذي يستفهم به عن التصور وحده فهو باقي الأدوات" (عباس، 197، 168-169).

ولعل تنوع أدوات الاستفهام بين الاسمية والحرفية، قد وفّر لها تنوعاً في المعاني والدلالات والجمالية في الجملة الاستفهامية.

أما الهمزة التي فهي حرف من حرفي الاستفهام، والتي هي محور دراستنا، حرف مشترك بين الأسماء والأفعال، يقول "المرادي"(ت 749 هـ): "همزة الاستفهام حرف مشترك: يدخل على الأسماء والأفعال، لطلب تصديق، نحو: أزيد قائم؟ أو تصور، نحو: أزيد عندك أم عمرو؟ وتساويها هل في طلب التصديق الموجب، لا غير" (المرادي، 1992، 30). ويؤيد سيبويه ذلك القول بقوله: " لأنّها حرف الاستفهام الذي لا يزول عنه إلى غيره، وليس للاستفهام في الأصل غيره. وإنّما تركوا الألف في مَنْ، ومَتى، وهَلْ، ونحوهن حيث أمنوا الالتباس" (سيبويه، 1988، 189/3).

ويقول "الزركشي"(ت 794 هـ): "وَلِكَوْنِ الْهَمْزَةِ أُمَّ الْبَابِ اخْتَصَّتْ بِأَحْكَامٍ لَفْظِيَّةٍ ومعنوية، فَمِنْهَا: كَوْنُ الْهَمْزَةِ لَا يُسْتَفْهَمُ بِهَا حَتَّى يَهْجِسَ فِي النَّفْسِ إثْبَاتُ مَا يُسْتَفْهَمُ عَنْهُ بِخِلَافِ "هَلْ".. وَمِنْهَا: اخْتِصَاصُهَا بِاسْتِفْهَامِ التَّقْرِيرِ.. وَمِنْهَا: أَنَّهَا تُسْتَعْمَلُ لِإِنْكَارِ إثْبَاتِ مَا يَقَعُ بَعْدَهَا كَقَوْلِكَ: أَتضْرِبُ زَيْدًا وَهُوَ أَخُوك.. وَمِنْهَا: أَنَّهَا يَقَعُ الِاسْمُ مَنْصُوبًا بَعْدَهَا بِتَقْدِيرِ نَاصِبٍ أَوْ مَرْفُوعًا بِتَقْدِيرِ رَافِعٍ يُفَسِّرُهُ مَا بَعْدَهُ كَقَوْلِكَ: أَزَيْدًا ضرب وَأَزَيْدٌ قَامَ وَلَا تَقُولُ: هَلْ زَيْدًا ضَرَبْتَ وَلَا هَلْ زَيْدٌ قَامَ.. وَمِنْهَا: أَنَّهَا تَدْخُلُ عَلَى الشَّرْطِ تَقُولُ: أَإِنْ أَكْرَمْتَنِي أَكْرَمْتُكَ، وَأَإِنْ تَخْرُجْ أَخْرُجْ مَعَكَ، وأَإِنْ تَضْرِبْ أَضْرِبْ؟ وَلَا تَقُولُ: هَلْ إِنْ تَخْرُجْ أَخْرُجْ مَعَكَ؟" (الزركشي، 1957، 347/2).

ومن الجدير بالذكر أن همزة الاستفهام أصل أدوات الاستفهام، بمعنى آخر إن سائر أسماء الاستفهام تحمل معنى الهمزة، وعلل النحويون سبب بناء الأسماء في الاستفهام بأنها متضمنة معنى الحرفية في دلالتها، قال ابن عصفور: (ت 669 هـ) "والأسماء معربة إلا ما أشبه الحرف أو تضمن معناه كأسماء الشرط فإنها تضمنت كلها معنى "إن" وأسماء الاستفهام فإنها تضمنت معنى "الهمزة" (ابن عصفور، 1972، 289).

"والهمزة وحدها هي التي يسأل بها عن كل شيء في الجملة" (أبو موسى، 1987، 205).

وقد تخرج همزة الاستفهام عن معناها الأصلي لمعان أخرى تفهم من سياق الكلام، ومن أهم تلك المعاني التي تخرج إليها الهمزة هي: الإنكار، التقرير، التعجب، التهكم، الأمر.

3- دلالات همزة الاستفهام في سور الحواميم

إن همزة الاستفهام وردت كثيرا في سور القرآن كما أنها ذكرت لطلب الفهم وقد تكون تارة لمعانٍ ودلالات أخرى، وهذا يدل على أن وراء ذكرها في القرآن حكَم وأسرار مفيدة لجميع الناس عاما والمسلمين خاصا. ولقد جاءت همزة الاستفهام في سور الحواميم بمعان ودلالات متنوعة مجازية في غير معناها الحقيقي.

1- دلالات همزة الاستفهام في سورة " غَافِرٍ":

ورد الاستفهام بـ "الهمزة" في سورة "غافر" خمس مرات، وذلك كالآتي:

1- في قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ) [غافر: ٢١]. الحديث عن مشركي العرب، والاستفهام في هذه الآية ترميهم بالغفلة، حيث مشركو العرب لم يبلغوا ما بلغته الأمم الأخرى، وحول همزة الاستفهام فيها فقد أومأ "الآلوسي" من الأقدمين بأنها جاءت للدلالة على الإنكار، إذ يقول: " إن الاستفهام إنكاري وهو في معنى النفي فيكون جواب نفي النفي" (الآلوسي، 1415هـ، 12/ 314). وجزم "ابن عاشور" الكلام حول هذه الهمزة وقال: " والاستفهام تقريري على ما هو الشائع في مثله من الاستفهام الداخل على نفي في الماضي بحرف "لم"، والتقرير موجه للذين ساروا من قريش ونظروا آثار الأمم الذين أبادهم الله جزاء تكذيبهم رسلهم" (ابن عاشور، 1984، 119/24). يقول "محمد أبو موسى": "ودخول همزة الاستفهام على الواو العاطفة له دلالة أخرى يصير بها الكلام أكثر سعة من أن لو قال "ألم يسيروا" وفي هذه زيادة حفاوة بالمعنى الذي تأسس على هذا الاستفهام (أبو موسى، 2009، 79). إذن همزة الاستفهام تقريري، وذلك بدلالة المقام، لأن الله يشنع على كفار العرب بأنهم غفلوا عن الوقوف في سيرهم في الأرض عن مواطن الاعتبار من عواقب الأمم، التي دمرها الله من قبلهم، إزاء طغيانهم.

2- وفي قوله تعالى: (وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آَلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ **أَتَقْتُلُونَ** رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ) [غافر: ٢٨]. " فالهمزة للإنكار" (درويش، 1415، 478/8). وذكر"أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ" في هذا المقام يدل على حسن ذلك الإنكار، يقول "الزمخشري": " وهذا إنكار منه عظيم وتبكيت شديد، كأنه قال: أترتكبون الفعلة الشنعاء التي هي قتل نفس محرمة، وما لكم علة قط في ارتكابها إلا كلمة الحق التي نطق بها وهي قوله رَبِّيَ اللَّهُ مع أنه لم يحضر لتصحيح قوله بينة واحدة (الزمخشري، 1407هـ، 206/4). وقال "الآلوسي": " أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أي أتقصدون قتله فهو مجاز ذكر فيه المسبب وأريد السبب، وكون الإنكار لا يقتضي الوقوع لا يصححه من غير تجوز "أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ" أي: لأن يقول ذلك وَقَدْ جاءَكُمْ بِالْبَيِّناتِ الشاهدة على صدقه من المعجزات "(الآلوسي، 1415هـ، 12/ 317). وقدل أدخل همزة الاستفهام على الفعل "يقتلون" وجعله مصب الإنكار وهم لم يقتلوا موسى، والأصل أن يقولوا: أتهمون بقتل رجل يقول ربي الله، لكنه لما وجد الفعل منهم عزيمة وفرعون مصر عليه ومشارف له عبر بالقتل عزيمة القتل وإرادته (ينظر: أبو موسى، 2009، 106).

إذن الاستفهام إنكاري، وذلك لإنكار الوقوع، واستقباحه والتوبيخ عليه.

3- وأما قوله تعالى: (قَالُوا **أَوَلَمْ** تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ) [غافر: ٥٠]. هذه الآية جاء صدرها جوابا على طلب أهل النار من خزنة النار أن يشفعوا لهم عند الله ليخفف عليهم يوما من العذاب. وقد خرجت همزة الاستفهام هنا عن معناها الحقيقي أيضا، لتدل على معنى التقرير.

يقول "ابن عاشور": " وجواب خزنة جهنم لهم بطريق الاستفهام التقريري المراد به: إظهار سوء صنيعهم بأنفسهم إذ لم يتبعوا الرسل حتى وقعوا في هذا العذاب، وتنديمهم على ما أضاعوه في حياتهم الدنيا من وسائل النجاة من العقاب. وهو كلام جامع يتضمن التوبيخ، والتنديم، والتحسير، وبيان سبب تجنب الدعاء لهم، وتذكيرهم بأن الرسل كانت تحذرهم من الخلود في العذاب " (ابن عاشور، 1984، 164/24). وهمزة الاستفهام التي جاءت أول نطقهم المراد بها التقرير، ليس بما دخلت عليه لأنها دخلت على النفي، وإنما التقرير بما يعلمه المخاطب مما دخلت عليه، والمراد هنا الإثبات، أي: جاءكم رسلكم بالبينات، وقالوا بلى يعني أقروا بمجيء الرسل بالبينات (ينظر: أبو موسى، 2009، 181). ويضاف لهم إلى هذا التقرير، شيء من التوبيخ والتيئيس من رحمة الله،

يقول الإمام "الشوكاني": "وَالاستفهام لِلتَّوْبِيخِ وَالتَّقْرِيعِ" (الشوكاني، 1414، 568/4). وقال "محي الدين درويش": "الهمزة للاستفهام الانكاري التوبيخي"(درويش، 1415، 497/8).

إذن الهمزة جاءت للدلالة على التقرير والتوبيخ والتقنيط..

4- وأما في قوله تعالى: (**أَلَمْ تَرَ** إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ) [غافر: ٦٩]. فقوله عز وجل "**أَلَمْ** تَرَ" من الجمل القرآنية العظيمة الشأن، وقد تكررت في الكتاب العزيز ويأتي عادة بعدها أمر عجيب غريب مخالف للمنطق وما يقتضيه العقل (ينظر: أبو موسى، 2009، 258). والهمزة فيها للاستفهام التقريري التعجبي وذلك من تهافتهم "(ينظر: درويش، 1415، 516/8). يقول "ابن عاشور": "وَالاستفهام مُسْتَعْمَلٌ في التَّقْرِيرِ وهو مَنْفِيٌّ لَفْظًا، وَالْمُرَادُ به: التَّقْرِيرُ عَلَى الْإِثْبَاتِ.." (ابن عاشور، 1984، 200/24). وقال "طنطاوي": " والاستفهام في قوله- تعالى-: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجادِلُونَ فِي آياتِ اللَّهِ" للتعجب من أحوال هؤلاء المشركين. حيث أنكروا الحق الواضح وانساقوا وراء الأوهام والأباطيل. والمعنى: انظر- أيها الرسول الكريم- إلى أحوال المشركين، وتعجب من سلوكهم " (طنطاوي، 1998، 310/12).

5- أما الموضع الخامس، الذي جاءت فيه "الهمزة" فهو في قوله تعالى:(**أَفَلَمْ** يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) [غافر: ٨٢] هذه الآية أيضا حديث عن مشركي العرب، وكررت معهم ما قيل لهم من قبل في هذه السورة وفي غيرها، وفيها حث وترغيب في النظر والتأمل في مصارع المكذبين، والهمزة خرجت عن معناها الحقيقي، وجاءت للدلالة على الإنكار، يقول" ابن عاشور": "تفريع هذا الاستفهام عقب قوله: " يُرِيكُمْ آياتِهِ " [غافر: 81] ، يقتضي أنه مساوق للتفريع الذي قبله وهو" أَيَّ آياتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ " [غافر: 81] فيقتضي أن السير المستفهم عنه بالإنكار على تركه هو سير تحصل فيه آيات ودلائل على وجود الله ووحدانيته وكلا التفريعين متصل بقوله: ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون [غافر: 80]، فذلك هو مناسبة الانتقال إلى التذكير بعبرة آثار الأمم التي استأصلها الله تعالى لما كذبت رسله وجحدت آياته ونعمه. وحصل بذلك تكرير الإنكار "(ابن عاشور، 1984، 219/24). وقد جاء الخطاب بالغيبة، والمخاطبون هم المعاندون، وسبب هذا الإنصراف عنهم لأن من ينكر ما لايجوزه إنكاره لا يستحق أن يتوجه إليه الخطاب (ينظر: أبو موسى، 2009، 295). ويلحظ أن همزة الاستفهام في هذه السورة أكثر ما جاءت على معنى الإنكار.

2- دلالات همزة الاستفهام في سورة " فُصِّلَتْ":

جاءت فى هذه السورة مجموعة من أدوات الاستفهام وهي" الهمزة، ومن، وما، وأين". فقد تكرر الاستفهام بـ"الهمزة" في ستة مواضع، وذلك كالآتي:

الموضع الأول في قوله تعالى: (قُلْ **أَئِنَّكُمْ** لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ) [فصلت: ٩]. دخول همزة الاستفهام على الفعل أو الفاعل أو المفعول كل ذلك ظاهر، والمقصود بالهمزة هو ما يليها، وكذلك دخولها على الجمل إذا كان المراد بها السؤال عن النسبة، أما دخولها على الجمل المؤكدة فذلك مما يحتاج إلى مراجعة وخصوصا إذا كان المراد بالاستفهام فى الظاهر معناه الأصلى وهو طلب الفهم (ينظر: أبو موسى، 2009، 337). الهمزة في هذه الآية جاءت للدلالة على التوبيخ والإنكار والتعجب (ينظر: أبي السعود، د.ت، 4/8). يقول "ابن عاشور": " وهمزة الاستفهام المفتتح بها الكلام مستعملة في التوبيخ فقوله: " أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ " كقوله في سورة البقرة [28] " كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ ". وفي الافتتاح بالاستفهام وحرفي التوكيد تشويق لتلقي ما بعد ذلك لدلالة ذلك على أن أمرا مهما سيلقى إليهم، وتوكيد الخبر ب (إن) ولام الابتداء بعد الاستفهام التوبيخي أو التعجيبي استعمال وارد كثيرا في الكلام الفصيح، ليكون الإنكار لأمر محقق، وهو هنا مبني على أنهم يحسبون أنهم مهتدون وعلى تجاهلهم الملازمة؟ بين الانفراد بالخلق وبين استحقاق الإفراد بالعبادة فأعلموا بتوكيد أنهم يكفرون، وبتوبيخهم على ذلك، فالتوبيخ المفاد من الاستفهام مسلط على تحقيق كفرهم بالله، وذلك من البلاغة بالمكانة العليا، واحتمال أن يكون التوكيد مسلطا على التوبيخ والإنكار قلب لنظام الكلام "(ابن عاشور، 1984، 241/24-242).

إذن بما أن المقام هو لإنكار الواقع من الكفر المؤكد بالله من مشركي العرب، فتقتضي أن تكون همزة الاستفهام للإنكار والتوبيخ والتعجب.

والموضع الثاني الذي جاءت فيه "الهمزة"، التي هي للدلالة على الإنكار والتوبيخ أيضا في قوله تعالى: (فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً **أَوَلَمْ** يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ) [فصلت: ١٥]. يقول "ابن عاشور": " والاستفهام إنكاري، والمعنى: إنكار عدم علمهم بأن الله أشد منهم قوة حيث أعرضوا عن رسالة رسول ربهم وعن إنذاره إياهم

إعراض من لا يكترث بعظمة الله تعالى لأنهم لو حسبوا لذلك حسابه لتوقعوا عذابه فلأقبلوا على النظر في دلائل صدق رسولهم "(ابن عاشور، 1984، 257/24).

وفائدته تنبيه الســـــــــامع حتى يرجع إلى نفسه فيخجل ويرتدع ويعيا بالجواب (ينظر: الجرجاني، 1992، 119).

ودخول الاستفهام على واو العطف دلالة على أن المعنى المذكور والمفهوم من اللفظ هو جزء من المعنى المقصود والمراد، لأن هذه الواو التى دخلت عليها الهمزة دالة على كلام محذوف (ينظر: أبو موسى، 2009، 366).

والموضع الثالث الذي جاءت فيه الهمزة، وهي للدلالة على الاستفهام التقريري والبياني، فهو في قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا **أَفَمَنْ** يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) **[فصلت: ٤٠]**. يقول "الرازي" :" هذا استفهام بمعنى التقرير، والغرض التنبيه على أن الذين يلحدون في آياتنا يلقون في النار، والذين يؤمنون بآياتنا يأتون آمنين يوم القيامة"(الرازي، 1420هـ، 568/27).

وفي هذه الهمزة التقريرية كناية عن عدم التساوي بين هذا وبين المؤمن (ابن عاشور، 1984، 371/23).

والغرض من هذا الاستفهام بيان أن الذين يلحدون في آيات الله سيكون مصيرهم الإلقاء في النار (طنطاوي، 1998، 357/12).

أما الموضع الرابع، فهو في قوله تعالى: (وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ **أَأَعْجَمِيٌّ** وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ) **[**فصلت: ٤٤].

خرجت الهمزة عن معناها الحقيقي، وجاءت للدلالة على معنى الإنكار (درويش، 1415، 571/8).

فهم –مشركو العرب- ينكرون أن يكون القرآن بلغة العجم والرسول النازل إليه العربي، والمرسل إليهم عرب، والذي أنكره هو شدة التنافر بين طرفي المستفهم عنه، يقول "أبوحفص النعماني": "قال المفسرون: هذا استفهام على وجه الإنكار، لأنهم كانوا يقولون: المُنزَّلُ عليه عربي، والمُنزَّلُ أعجمي وذلك أن رسول الله ﷺ كان يدخل على يسار غلام" (أبو حفص النعماني، 1998، 40/17).

وفحوى هذه الجملة أنهم لا ينكرون عربي وعربي، مع أنهم أنكروا الكتاب نفسه وهو عربي بلسانهم، لأن إنكار عجمته تأكيد لمعنى تفصيله "فُصِّلَتْ آيَاتُهُ"(ينظر: أبو موسى، 2009، 454).

والموضع الخامس في قوله تعالى: (قُلْ **أَرَأَيْتُمْ** إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ) [فصلت: ٥٢]. خرجت الهمزة عن معناها الحقيقي أيضا، وهي همزة التقرير، والمراد حمل المخاطب على الإقرار بما يعلمه من مضمون الكلام بعدها"(ينظر: أبو موسى، 2009، 495)، والجملة بمعنى "أخبرونى"(ينظر: الزمخشري، 1407هـ، 206/4).

أما الموضع السادس، ففي قوله تعالى: (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ **أَوَلَمْ** يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) [فصلت: ٥٣].

هذه الآية جاءت استطراداً في حجاج الذين كذّبوا بالقرآن وأعرضوا عن جميع الدلائل، وقد أشارت الآية إلى نوعين من الدلائل "فضائية و ذاتية"، همزة الاستفهام في قوله " أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ" جاءت للدلالة على معنى الإنكار والتوبيخ، فهو استئناف وارد لتوبيخهم على ترددهم في شأن القرآن وعنادهم المحوج إلى إراءة الآيات، وعدم اكتفائهم بإخباره تعالى، والهمزة للإنكار" (ينظر: الآلوسي، 1415هـ، 13/ 7). ويقول "ابن عاشور": "فَيَكُون الاستفهام إِنْكَارِيًّا إِنْكَارا لعدم الِاكْتِفَاء بِالْقَسَمِ بِاللَّهِ"(ابن عاشور، 1984، 257/24). وقال "طنطاوي": "وقوله- تعالى-: "وَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ" استئناف مسوق لتوبيخ الكافرين على عنادهم مع ظهور الأدلة على أن ما جاء به الرسول ﷺ من عند ربه هو الحق المبين. والهمزة للإنكار "(طنطاوي، 1998، 367/12).

3- دلالات همزة الاستفهام في سورة " الشُّورَى":

لم ترد همزة الاستفهام في هذه السورة.

4- دلالات همزة الاستفهام في سورة " الزُّخْرُف":

وردت مجموعة من أدوات الاستفهام في هذه السورة، وهي: "الهمزة، أم، من، كيف، هل، أنّى)، وقد وردت الهمزة بشكل كبير، حيث جاءت عشر مرات، وفي أكثرها جاءت للدلالة على الإنكار، وذلك كالآتي:

الموضع الأول الذي جاءت فيه الهمزة في قوله تعالى: (**أَفَنَضْرِبُ** عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ) [الزخرف: ٥]. الهمزة في هذه الآية خرجت عن معناها الحقيقي، وقد جاءت للدلالة على المعنى الإنكاري التوبيخي (ينظر: دعاس، 1425، 194/3)، يقول "ابن عاشور" الفاء لتفريع الاستفهام الإنكاري على جملة إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون [الزخرف: 3] ، أي

أتحسبون أن إعراضكم عما نزل من هذا الكتاب يبعثنا على أن نقطع عنكم تجدد التذكير بإنزال شيء آخر من القرآن.. والاستفهام إنكاري، أي لا يجوز أن نضرب عنكم الذكر صفحا من جراء إسرافكم "(ابن عاشور، 1984، 163/25).

يقول "محمد أبو موسى": "والهمزة التى ابتدأت بها الجملة همزة إنكار، وفيها من المعاني ما لا يقادر قدره. لأنها جامعة لكل ما كانوا عليه من الروغان فى مواجهة ما أنزله الله عليهم مما لفت الكلام السابق إلى علو شأنه، وأنه بلسانهم العربى "(ينظر: أبو موسى، 2010، 257).

والموضع الثاني في قوله تعالى: (أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ) [الزخرف: ١٨]. الهمزة هنا للإنكار أيضا(ينظر: درويش، 1415، 73/9)، حيث الإنكار –حسب ادعائهم- مسلط على الواقع الذي لهجوا به زورا وبهتانا، يقول "ابن عاشور": "عطف إنكار على إنكار، والواو عاطفة الجملة على الجملة وهي مؤخرة عن همزة الاستفهام لأن للاستفهام الصدر وأصل الترتيب: وأمن ينشأ. وجملة الاستفهام معطوفة على الإنكار المقدر بعد أم في قوله: أم اتخذ مما يخلق بنات [الزخرف: 16] ..." (ابن عاشور، 1984، 180/25). وقال "طنطاوي": "والاستفهام للإنكار...أي: أيجترئون ويجعلون لله- تعالى- الإناث، اللائي من شأنهن أن ينشأن في الزينة، لأن هذه الحياة هي المناسبة لهن ولتكوينهن الجسدى، واللائي من شأن معظمهن أنهن لا يقدرن على الدفاع عن أنفسهن لضعفهن وقصورهن في الجدال وفي بيان الحجة التي ترد الخصم، وتزيل الشبهة.." "(طنطاوي، 1998، 69/13).

والموضع الثالث في قوله تعالى: (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ) [الزخرف: ١٩]. الهمزة هنا للاستفهام الإنكاري التهكمي التقريعي والتوبيخ (ينظر: السمرقندي، د.ت، 242/3). وهو إنكار الشهادة وهي ليست طريقا أوحد في حصول العلم، بل يشاركها في ذلك السماع، وقال "الرازي": "وَهذا اسْتِفْهَام عَلَى سَبِيل الْإِنكَارِ، يعني أَنَّهُم لَم يشْهدوا خَلْقَهُم" (الرازي، 1420هـ، 625/27).

وقال: "ابن عاشور": " فالهمزة للاستفهام وهو للإنكار والتوبيخ. وجيء بصيغة النائب عن الفاعل دون صيغة الفاعل لأن الفاعل معلوم أنه الله تعالى لأن العالم العلوي الذي كان فيه خلق الملائكة لا يحضره إلا من أمر الله بحضوره.." (ابن عاشور، 1984، 180/25).

إذن همزة الإنكار تفيد النفي، ولو قال سبحانه (لم يشهدوا خلقهم) لكان كلاما آخر، لأن محض المعنى الذي في همزة الإنكار أن يعودوا إلى أنفسهم وأن يحاوروها ويسألوها عن الأصل الذي جعلهم يجعلون الملائكة إناثا، وأن مثل هذا لا يتحقق إلا بالمشاهدة، أو إخبار الله (ينظر: أبو موسى، 2010، 302).

والموضع الرابع في قوله تعالي: (قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ) [الزخرف: ٢٤]. الهمزة في هذه الآية للاستفهام الإنكاري والتقريري (ينظر: الهرري، 2001، 224/26). يقول "الزمخشري": "أتتبعون آباءكم ولو جئتكم بدين أهدى من دين آبائكم؟"(الزمخشري، 1407هـ، 146/4).

وقال "ابن عاشور": " والهمزة للاستفهام التقريري المشوب بالإنكار. وقدمت على الواو لأجل التصدير. والمقصود من الاستفهام تقريرهم على ذلك لاستدعائهم إلى النظر فيما اتبعوا فيه آباءهم لعل ما دعاهم إليه الرسول أهدى منهم " (ابن عاشور، 1984، 190/25)، يقول "محمد أبو موسى" الهمزة في هذه الآية:" همزة الاستفهام المراد بها التقرير، وفيها شيء من معنى التعجب والإنكار، وهذه الواو التى دخلت عليها الهمزة، دالة على محذوف، وهذا المحذوف دأخل فى حيز الهمزة، وهذا الحذف أفصح من الذكر.. وأرى أن التقرير والتعجب والإنكار الذى فى الهمزة مفرغ كثير منه على هذه الواو، لأنها هى التى تلي الهمزة وقالوا المراد بالهمزة والمقصود بها هو ما يليها، ولا شك أن الواو حرف غير دال على معنى فى نفسه، وإنما كان أكثره مصبوبا عليها من حيث هي دالة على المحذوف الذي له النصيب الموفور من دلالة الهمزة وكل ذلك ليس فيه مبالغة، وهذا المحذوف يحتمل تقديرات مختلفة فلك أن تقول المعنى أتصرون على ذلك ولوجئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آبائكم؟ ولك أن تقول أتقولون ذلك لوجئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم؟ وفى النهاية تجد المقصود بالهمزة هو هذا المحذوف المقدر يصعب تعيين" (أبو موسى، 2010، 321).

أما الموضع الخامس الذي جاءت فيه "الهمزة" فهو في قوله تعالى: (أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ) [الزخرف: ٣٢]. والهمزة في هذه الآية للإنكار أيضا، (ينظر: درويش، 1415، 81/9) و محض معنى الإنكار فى الهمزة أن يعود السامع إلى نفسه، وأن يضع بين عينيه هذه الحقيقة وهى قسمة رحمة الله(ينظر: أبو موسى، 2010، 341). قال "الزمخشري": "هذه الهمزة للإنكار المستقل بالتجهيل والتعجيب من اعتراضهم وتحكمهم" (الزمخشري، 1407هـ، 252/4). وقال "ابن عاشور": "إِنكَار عَلَيهِم ... فإنهم

لما نصبوا أنفسهم منصب من يتخير أصناف الناس للرسالة عن الله، فقد جعلوا لأنفسهم ذلك لا لله، فكان من مقتضى قولهم أن الاصطفاء للرسالة بيدهم، فلذلك قدم ضمير هم المجعول مسندا إليه، على مسند فعلي ليفيد معنى الاختصاص فسلط الإنكار على هذا الحصر إبطالا لقولهم وتخطئة لهم في تحكمهم " (ابن عاشور، 1984، 190/25).

إذن الهمزة للإنكار أن يكون لهم سلطان في شؤون الله وما هو من خصوصيات ذات الإلهية، وفيه أيضا نوع من التوبيخ على تطاولهم في أمور لا تخضع لإرادة أحد سوى الله تعالى، وفيه تعجيب من جهلهم.

والموضع السادس في قوله تعالى: (أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) [الزخرف: ٤٠]. الهمزة في هذه الآية للاستفهام الإنكاري التعجبي (ينظر: الزمخشري، 1407هـ، 253/4). وهو تنزيل المخاطب للحرص الشديد على هداية قومه منزلة من يعتقد أنه قادر على هدايتهم.

ودخول الإنكار على الفاعل يعني أن الإنكار منصب عليه، وأن الفعل الذي هو إسماع الصم فعل يمكن أن يكون ثم هو لا يكون إلا من الله (ينظر: أبو موسى، 2010، 378).

والموضع السابع في قوله تعالى: (وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ) [الزخرف: ٤٥]. الهمزة هنا للاستفهام الإنكاري والنفي (ينظر: دعاس، 1425، 200/3). والإنكار فيه مسلط على الوقوع، بمعنى أن ذلك لم يقع من الله قط، ويردف على هذا الإنكار تكذيب من أدعى أن الله أذن لأحد ما أن يعبد آلهة من دونه، بل ويستمر هذا الإنكار حتى تقوم الساعة. ولا مبدل لكلماته. قال" ابن عاشور": " والهمزة للاستفهام وهو إنكاري وهو المقصود من الخبر، وهو رد على المشركين في قولهم: (بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ) [الزخرف: 22] أي: ليس آباؤكم بأهدى من الرسل الأولين إن كنتم تزعمون تكذيب رسولنا لأنه أمركم بإفراد الله بالعبادة. ويجوز أن يجعل السؤال عن شهرة الخبر. ومعنى الكلام: وإنا ما أمرنا بعبادة آلهة دوننا على لسان أحد من رسلنا " (ابن عاشور، 1984، 216/25).

والموضع الثامن والتاسع الذي جاءت فيهما "الهمزة" في قوله تعالى: (وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ) [الزخرف: ٥١]. هذه الآية تصوير لموقف من مواقف فرعون، فإذا بفرعون يشيع في قومه نداء يقرر فيه بملكيته لمصر، ويشير إلى النهر الذي يجري تحته، فقد وردتا في الآية همزتان: الهمزة الأولى في "أَلَيْسَ" جاءت للدلالة على التقرير، والتفاخر والتباهي (ينظر: درويش، 1415، 94/9). وقال" الهرري": "الهمزة فيه للاستفهام التقريري. لا ينازعني فيه أحد، ولا يخالفني مخالف"(الهرري، 2001، 261/26).

ويرى "أبو موسى" أن الهمزة هنا يحتمل أمرين، الأول: أن يكون الاستفهام للإنكار وقد دخل على النفي فنفاه ونفي لنفي إثبات، والمراد أن يقول: لي ملك مصر. أما الثاني: أن تكون هذه الهمزة للتقرير وليست للإنكار والمراد أن يقر المخاطب بما يعلمه من مضمون الجملة فإن كان يعلم الإثبات أقر بالإثبات، وإن كان يعلم النفي أقر بالنفي والمراد هنا أن يقروا بالإثبات يعنى أن له ملك مصر ولا يطالبهم بأن يقروا بهذا إلا لأمر حدث بسبب موسى (عليه السلام) (ينظر: أبو موسى، 2010، 417).

أما الهمزة في " أَفَلَا" جاءت للدلالة على الإنكار، حيث ينكر عليهم عدم وقوفهم على عظمة ملكه –مصر-، يقول" ابن عاشور": " والاستفهام في أفلا تبصرون تقريري جاء التقرير على النفي تحقيقا لإقرارهم حتى أن المقرر يفرض لهم الإنكار فلا ينكرون "(ابن عاشور، 1984، 230/25).

قال "محمد أبو موسى": "والهمزة الداخلة على الفاء تفيد الإنكارالذى فيه قدر من التوبيخ والتعنيف ومن المفيد جدا أن نتأمل ما دخل عليه هذا الإنكار لأنه يعني أمرا واقعا يكره فرعون على قومه "(أبو موسى، 2010، 418).

أما الموضع العاشر والأخير الذي جاءت فيه "الهمزة" فهو في قوله تعالى: (وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ) [الزخرف: ٥٨]. هناك اختلاف في قراءة الهمزة في قوله تعالى "أَآلِهَتُنَا" قرأ أهلُ الكوفة بتحقيق الهمزةِ الثانيةِ، والباقون بتسهيلِها بينَ بينَ، ولم يُدْخِلْ أحدٌ مِنْ القرَّاء الذين مِنْ قاعدتِهم الفصلُ بين الهمزتين بألفٍ، ألفاً، كراهةً لتوالي أربعةِ مُتشابهات، وأَبْدل الجميعُ الهمزةَ الثالثة ألفاً. ولا بُدَّ مِنْ زيادةِ بيان: وذلك أن "آلِهة" جمعُ إله كعِماد وأَعْمِدَة، فالأصلُ أَأْلِهَة بهمزتين: الأولى زائدةٌ، والثانيةُ فاء الكلمة وقعتِ الثانيةُ ساكنةً بعد مفتوحةٍ وَجَبَ قلْبُها ألفاً كأَمِن وبابِه، ثم دَخَلَتْ همزةُ الاستفهامُ على الكلمةِ، فالتقى همزتان في اللفظ: الأولى للاستفهامِ والثانيةُ همزةُ أَفْعِلة. والكوفيون لم يَعْتَدُّوا باجتماعِهما فأبْقَوْهما على حالِهما. وغيرُهم استثقَل فخفَّفَ الثانيةَ بالتسهيلِ بينَ بينَ، والثالثةُ بألفٍ محضةٍ لم تُغَيَّرْ البتةَ (أبو العباس، د.ت، 601/9).

والهمزة قد خرجت عن معناها الأصلي، وجاءت للدلالة على طلب التعيين، والتقدير: أآلهتنا أم هو خير؛ أي: أيهما خير (ينظر: الهرري، 2001، 290/26).

5- دلالات همزة الاستفهام في سورة " الدُّخَان ":

لم يرد في هذه السورة استفهام إلا في آية واحدة، والحديث فيها عن مشركي مكة، فهم يرون في أنفسهم قوة تأبى أن ينال منهم أحد، وأنهم لن يهلكوا كما هلكت أمم من قبلهم، جاءت أداة الاستفهام "أنى، والهمزة" فقط.

أما "الهمزة" فقد خرجت عن معناها الحقيقي، وجاءت للدلالة على "التقرير"، وذلك في قوله تعالى: (أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ) [الدخان: ٣٧]. قال" ابن عاشور": "وَالاستفهام في أَهُمْ خَير أَم قَوْم تبَّع تَقرِيرِي" (ابن عاشور، 1984، 125/25). أي: تقرير أن قوم تبع خير من مشركي العرب.

6- دلالات همزة الاستفهام في سورة " الجَاثِيَة":

لقد وردت كل من أدوات الاستفهام "الهمزة، وأيّ، وأم، وما" في سورة الجاثية، أما الهمزة فقد وردت ثلاث مرات، وهي كالآتي:

الموضع الأول والثاني الذي جاءت فيهما الهمزة، فكلاهما في آية واحدة، فهما في قوله تعالى: (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) [الجاثية: ٢٣]

أما الهمزة الأولى في قوله تعالى: " أَفَرَأَيْتَ" فقد جاءت للدلالة على التعجيب والأمر، أي: أخبرني (ينظر: درويش، 1415، 154/9، وينظر: الهرري، 2001، 224/26). وفي هذا إثارة ولفت نظر قوي نحو المستفهم عنه والتعجيب من حاله الغريبة، وتوطئة لتلقي الحكم عليه. يقول "ابن عاشور": " لما كان الذين حسبوا أن يكونوا في الآخرة في نعمة وعزة كما كانوا في الدنيا قالوا ذلك عن غير دليل ولا نظر ولكن عن اتباع ما يشتهون لأنفسهم من دوام الحال الحسن تفرع على حسبانهم التعجيب من حالهم، فعطف بالفاء الاستفهام المستعمل في التعجيب، وجعل استفهاما عن رؤية حالهم، للإشارة إلى بلوغ حالهم من الظهور إلى حد أن تكون مرئية " (ابن عاشور، 1984، 357/25). أما الهمزة الثانية ففي قوله تعالى" أَفَلَا تَذَكَّرُونَ" والاستفهام هنا معناه الحث والحض والأمر بالتذكر، لأن التذكر هو الذي يخرجكم من غواشي الضلال (ينظر: أبو موسى، 2011، 196).

أما الموضع الثالث الذي جاءت فيه الهمزة، فهو في قوله تعالى: (وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ) [الجاثية: ٣١] جاءت الهمزة في هذه الآية للدلالة على التوبيخ والتقريع والتقرير (الهرري، 2001، 471/26).

حيث إن هذا الخطاب سيقال للذين كفروا يوم القيامة، يخبر بهم ما كانوا يصنعون في الحياة الدنيا إزاء تلاوة آيات الله، قال "ابن عاشور": " فيقال لهم أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فلما حذف فعل القول قدم حرف الاستفهام على فاء الجواب اعتدادا باستحقاقه التصدير كما يقدم الاستفهام على حروف العطف. ولم يتعد بالمحذوف لأن التقديم لدفع الكراهة اللفظية من تأخر الاستفهام عن الحرف وهي موجودة بعد حذف ما حذف. والاستفهام توبيخ وتقرير "(ابن عاشور، 1984، 371/25).

7- دلالات همزة الاستفهام في سورة " الأَحْقَاف":

جاءت فى هذه السورة مجموعة من أدوات الاستفهام وهي" الهمزة، وما، وأم، وهل".

"الهمزة" كعادتها أكثر ورودا مقارنة بأخواتها، حيث وردت سبع مرات ، وذلك كالآتي:

الموضع الأول الذي جاءت فيه "الهمزة" فهو في قوله تعالى: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) [الأحقاف: ٤]. هذه الآية توطئة لبيان عجز معبوداتهم من كل حول وطول وقوة، و"الهمزة" فيها جاءت للدلالة على التقرير، "وأَرَأَيْتُمْ اسْتِفْهَام تَقرِيرِي فهو كِنَايَة عَن معنى: أَخْبِرُونِي""(ابن عاشور، 1984، 351/25).

أما الموضع الثاني ففي قوله تعالى: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) [الأحقاف: ١٠]. و"الهمزة" في هذه الآية جاءت للدلالة على التقرير أيضا، كما أشار إليه "ابن عاشور" بقوله: "فَالاستفهام في "أَرَأَيْتُم" تَقْرِيرَي لِلتَّوبِيخ ومفعولاَ أَرأَيْتُم محذُوفَان. وَالتَّقدِير: أَرأَيْتُم أَنفُسَكُمْ ظَالِمِينَ"(ابن عاشور، 1984، 19/26).

يقول "محمد أبو موسى": " الهمزة في قوله تعالى"أَرَأَيْتُمْ" معناها محض التنبيه أو التقرير، وكلاهما حاث للقارئ والسامع أن يراجع ما دخلت عليه، وأن يتأمل الموقف.."(ينظر: أبو موسى، 2011، 196).

والموضع الثالث في قوله تعالى: (وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) [الأحقاف: ١٧]. "الهمزة" هنا للاستفهام الإنكاري والتعجب والتوبيخ (ينظر: درويش، 1415، 178/9). وذلك إنكار وقوع البعث، ثم التعجب ممن يؤمن به، ولم يأت إنكار هذا البعث صراحة إلا في قول الذي قال لوالديه " أُفٍّ لَكُمَا". قال "ابن عاشور": " والاستفهام في "أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ" إنكار وتعجب. والإخراج: البعث بعد الموت. وجعلت جملة الحال وهي " وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي " قيدا لمنتهى الإنكار، أي كيف يكون ذلك في حال مضي القرون " (ابن عاشور، 1984، 38/26).

والموضع الرابع الذي جاءت فيه "الهمزة" في قوله تعالى: (وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ) [الأحقاف: ٢٠] "الهمزة" في هذه الآية جاءت للدلالة على التوبيخ و التقريع، قال "لقنّوجي": " أذهبتم بهمزة واحدة، وقرىء بهمزتين محققتين، ومعنى الاستفهام التقريع والتوبيخ" (القنوجي، 1992، 29/13). قرأ الجمهور: أذهبتم بهمزة واحدة، وقرأ الحسن ونصر أبو العالية ويعقوب وابن كثير بهمزتين مخففتين، ومعنى الاستفهام التقريع والتوبيخ. قال الفراء والزجاج: العرب توبخ بالاستفهام وبغيره، فالتوبيخ كائن على القراءتين (ينظر: الفراء، د.ت، 54/3، والشوكاني، 1414، 26/5).

والموضع الخامس في قوله تعالى: (قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) [الأحقاف: ٢٢]. هذا قول من أقوال عاد لأخيهم هود (عليه السلام)، فقد صدع فيهم بالحق، ودعاهم إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، لكنهم قابلوا دعوته بالرفض، ثم واجهوه بقولهم "أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا" فـ"الهمزة" في " أَجِئْتَنَا" جاءت للاستفهام الإنكاري والتوبيخي (ينظر: الهرري، 2001، 405/9). وقال "الآلوسي": الهمزة في " أَجِئْتَنَا " استفهام توبيخي " (الآلوسي، 1415هـ، 13/ 182).

هذا الجواب في قوله " أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا " فيها الخشونة، وأول ما تظهر في الاستفهام التقريري والمشوب بالإنكار والتوبيخ، وأن يكون هذا الإنكار وهذا التوبيخ أول صوت يطرق أذن هذا النبي الجليل (عليه السلام)، ثم بعدها تظهر هذه الخشونة في استعمال كلمة "جِئْتَنَا" أيضا (ينظر: أبو موسى، 2011، 502).

والموضع السادس في قوله تعالى: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [الأحقاف: ٣٣]. هذه الآية رد على شبهات منكري البعث، "الهمزة" في قوله "أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ" جاءت للاستفهام الإنكاري أيضا (ينظر: درويش، 1415، 193/9، وينظر: طنطاوي، 1998، 208/13). وقال "محمد أبو موسى": "أول ما يلقانا –في هذه الآية- هو الاستفهام الداخل على حرف العطف، والاستفهام واستفهام إنكاري وفيه توبيخ وتعنيف والرؤية رؤية علمية والإنكار منصب على إنكارهم البعث مع أن برهانه ظاهر للعقل ظهور الشيء تراه العين، وهو أن الذي خلق السموات والأرض قادر على إحياء الموتى وهذا شيء لا يدفعه من عنده إدراك، ولا ينكره إلا من ينكر الشيء تراه العين " (أبو موسى، 2011، 586).

أما الموضع السابع والآخير، الذي جاءت فيه "الهمزة" ففي قوله تعالى: (وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) [الأحقاف: ٣٤] "الهمزة" في هذه الآية جاءت للدلالة على معنى الاستفهام التوبيخي والتقريعي والتقريري، حيث دخلت همزة الإنكار والنفي على "ليس" فنفت النفي الحاصل منها، فصار معنى إثباتا، أي تقريرا، وهذا يناسب المقام، يقول الإمام "الشوكاني": " والاستفهام في أليس هذا بالحق للتقريع والتوبيخ: أي "أَلَيْسَ هَذَا" البعث الذي ينكرونه كائنا موجودا، وهذا الجزاء الذي يجحدونه حاضرا " (الشوكاني، 1414، 125/2). وقال "ابن عاشور": " والاستفهام تقريري وتنديم على ما كانوا يزعمون أن الجزاء باطل وكذب، وقالوا وما نحن بمعذبين "(ابن عاشور، 1984، 66/26).

وقد تكون الهمزة للإقرار، أي حمل المخاطب على الإقرار بما يعلمه من مضمون الكلام السابق، وأنه حق، وهي صالحة للاثنين معا ثم أنها تفيد مع ذلك التوبيخ والتعنيف واللوم والتنديم، لأن الآيات السابقة بينت الحق بيانا ساطعا، وهم الآن يعرضون على النار وقت انتهى زمن الإنكار وزمن اللجاجة والمابرة، وأصبحوا يواجهون الحق مواجهة لا سبيل لهم إلى إنكاره (ينظر: أبو موسى، 2011، 597).

بقي أن نقول إن المعاني البلاغية التي يخرج إليها همزة الاستفهام ليس لها قواعد موضوعة مضبوطة منظمة يحتكم إليها، وإنما إدراكها يعتمد على التذوق الأدبي الذاتي وعلى القرائن اللفظية والمعنوية التي تحيط بأدوات الاستفهام، ومن الطبيعي أن يختلف المفسرون في أذواقهم الأدبية وفي اكتناه ما يحيط بالاستفهام، حتى كانوا اختلفوا أحيانا فيما يدل عليه الاستفهام من معنى بلاغي. ورأينا أن الهمزة قد خرجت في أغلب مواضعها عن المعنى النمطي للاستفهام.

نتائج البحث

من خلال هذه الدراسة توصل البحث إلى أن همزة الاستفهام تتميز بمجموعة خصائص، أذكر منها:

- يعد أسلوب الاستفهام من أبرز الأساليب الإنشائية في سور الحواميم، وأكثرها وروداً.
- أجمع النحاة أن الهمزة تعد الأصل في الاستفهام لما لديها من أحكام تختص بها عن سائر الأدوات، ولهذا أطلقوا عليها "أم الباب".
- إن الهمزة قد تستعمل في غير معنى الاستفهام، فقد تأتي بدلالات أخرى تتطلبها السياقات المختلفة منها: التسوية، التقرير، الإنكار، التعجب، التهكم، الأمر. وهو ما ينسجم مع موضوعات السور الـتي تتركز في جوهرها على إنكار المشركين للبعث، وادعائهم بأن الملائكة بنات.
- أحيانا تتعدد المعاني البلاغية للهمزة الاستفهامية الواحدة في بعض مواطن السور، وذلك بسبب خفاء دلالتها، وإمكانية انفتاحها على أكثر من معنى يمكن أن ينسجم مع السياق القرآني.
- تتتابع الهمزة الاستفهامية في بعض الآيات، وذلك من أجل الإحاطة التامة بالدفقة الدلالية.
- إن ما يلي الهمزة في الاستفهام التقريري هو المقرر به.

المصادر و المراجع

- **القرآن الكريم.**

1. الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،** (د.ط)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).
2. الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،** تحقيق: علي عبد الباري عطية، (ط1)، دار الكتب العلمية، بيروت، (1415هـ).
3. ابن عاشور، محمد الطاهر محمد بن الطاهر، **التحرير و التنوير- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد-،** (د.ط)، الدار التونسية للنشر، تونس، (1984م).
4. ابن عصفور، أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي الحضرمي، ابن عصفور، **المقرب،** تحقيق: احمد عبد الستار الجواري، وعبد االله الجبوري، (ط1)، مكتبة الفكر، بغداد، (1972).
5. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا، **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها،** (ط1)، الناشر: محمد علي بيضون، (1997).
6. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة،** تحقيق: عبدالسلام هارون، (د.ط)، اتحاد الكتاب العرب، (2002).
7. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين، **لسان العرب**، تحقيق: عبدالله علي كبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، (د.ط)، دار صادر، بيروت، (1414هـ).
8. أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط (د.ط)، دار القلم، دمشق (د.ت).
9. أبو سعود، محمد بن محمد العمادي، **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم،** (د.ط)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).
10. أبو موسى، محمد محمد أبو موسى، **دلالات التركيب "دراسة بلاغية"،** (ط2)، مكتبة وهبة، (1987).
11. أبو موسى، محمد محمد أبو موسى، **غافر، فصلت، دراسة في أسرار البيان،** (ط1)، مكتبة وهبة، القاهرة (2009).
12. أبو موسى، محمد محمد أبو موسى، **الشورى، الزخرف، الدخان، دراسة في أسرار البيان،** (ط1)، مكتبة وهبة، القاهرة (2010).
13. أبو موسى، محمد محمد أبو موسى، **الأحقاف، الجاثية، دراسة في أسرار البيان،** (ط1)، مكتبة وهبة، القاهرة (2011).
14. أحمد وآخرون، ناصر سيد أحمد، مصطفى محمد، محمد درويش، أيمن عبد الله، **المعجم الوسيط،** (ط1)، مؤسسة التاريخ العربي، ودار إحياء التراث العربي، (2008).
15. الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، **تهذيب اللغة،** أبو منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب، (ط1)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (2001).
16. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الكناني الفقيمي البصري، **البيان والتبين،** تحقيق: فوزي عطوي، (د.ط)، دار صعب، بيروت، (د.ت).
17. الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، **دلائل الإعجاز في علم المعاني،** تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، (ط3)، مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني، جدة، (1992).
18. الجرجاني، علي بن محمد بن علي، **التعريفات،** تحقيق: براهيم الأبياري (د.ط)، دار الكتاب العربي، بيروت، (1405هـ).
19. حسن، عباس حسن، النحو الوافي، (ط15)، دار المعارف (د.ت).
20. الحمداني، عبدالقادر عبدالله الحمداني، **سور الحواميم "دراسة بلاغية تحليلية"،** (ط1) دار الكتب العلمية، (2011).

21. حوى، سعيد، **الأساس في التفسير**، (ط6)، دار السلام، القاهرة، (1424هـ).
22. درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى، **إعراب القرآن وبيانه**، (ط4)، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص – سورية، دار اليمامة، دمشق - بيروت، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، (1415هـ).
23. الرازي، محمد فخرالدين بن ضياء الدين عمر، **التفسير الكبير المسمى ب: مفاتيح الغيب**، (ط3)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (1420هـ).
24. الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (ط1)، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، (1957).
25. الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل ووجوه التأويل**، محمد باسل عيون السود، (ط1)، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان (1407هـ).
26. السكاكي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب، **مفتاح العلوم**، (ط2)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (1987).
27. السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم، **بحر العلوم**، تحقيق: د.محمود مطرجي، (د.ط)، دار الفكر، بيروت، (د.ت).
28. سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، **الكتاب**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (ط3)، مكتبة الخانجي، القاهرة، (1998).
29. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، **فتح القدير**، (ط1)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق – بيروت، (1414هـ).
30. طنطاوي، محمد سيد طنطاوي، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، (ط1)، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، (1998).
31. عباس، فضل حسن عباس، **البلاغة فنونها وأفنانها**، (ط4) ، دار الفرقان، (1997).
32. عمر، أحمد مختار عمر، **علم الدلالة**، (ط5)، عالم الكتب، (د.ت).
33. فاعور، د.منيرة فاعور، **الاستفهام المجازي في كتاب "الصاحبي" لابن فارس**، بحث منشور، مجلة التراث العربي، العدد (101) (2006) ص (76-97).
34. الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **كتاب العين**، تحقيق: د.مهدي المخزومي، د.إبراهيم السامرائي، (د.ط)، (د.ت).
35. القنوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني، **فتحُ البيان في مقا صد القرآن**، تحقيق: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، (د.ط)، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، (1992).
36. الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريمي، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، (د.ط)، مؤسسة الرسالة، بيروت، (د.ت).
37. المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ، **الجنى الداني في حروف المعاني**، تحقيق: د فخر الدين قباوة، والأستاذ محمد نديم فاضل (ط1)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (1992).
38. الميداني، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، **البلاغة العربية**، (ط1)، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، (1996).
39. الهاشمي، السيد أحمد الهاشمي، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، (د.ت).
40. الهرري، الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي، **تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن**، (د.ط)، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، (2001).
41. يعقوب، أميل بديع يعقوب، **المعجم المفصل في علوم اللغة**، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان (1993).

واتاکانی هەمزی پرس لە سورەتەکانی حەوامیمدا

ئاودێر أحمد عبدالله
زانکۆی سەلاحەدین / کۆلێژی پەروەردە- شەقڵاوە / بەشی زمانی عەرەبی
awder.abdulla@su.edu.krd

پوختە
هەمـزەی پـرس یەکـێکە لە گـرینگترین شـێوازەکانی دارشـتنی ڕسـتە داواکارییەکـان لە زمـانی عەرەبیـدا. ئەمەش لەبەر زۆری بەکارهێنـانی لە قورئـانی پیـرۆز و فەرموودەکانی پێغەمبەری خودا (درودی خوای لەسـەر بـێ)، هەروەهـا زۆری بەکارهێنـانی لە میـانی گفتوکـۆی ڕۆژانەدا و ڕەنگـدانەوەی بەرچـاوی لە شـیعر و نوسینـدا. وەك چۆن دیاریکردنی فۆرم و واتاکانی تـۆێژەرانی لە زۆر بوارەوە بەخـۆیەوە سەرقاڵ کردووە، بەتایبەتیش زمانەوان و ڕەوانبێـژ و شـەرعزان و زانایـانی ئوسوڵ، ئەمەش لەبەر بوونی ئەو پەیوەندییە بەهێزەی کە لە نێوان واتاکانی هەمزە و گووتارەکانی ڕۆژانەدا هەیە، بەتایبەتیش ئەوانەی پەیوەسـتن بە پرسـەکانی قەدەغەکردن، سەپاندن، پابەندبوون، و ڕێگەپێدان...، لە پرسە یاسایی و فیقهی و باوەڕییەکاندا.
ئەم تـۆێژینەوەیە هەوڵـێکە بـۆ ئاشـکراکردنی گرنگـی هەمـزەی پـرس لە سـورەتەکانی ئەلحەوامیمـدا. لێکۆڵینەوەکەمـان بە پێناسـەکردنی ئەو زاراوانەی دەسـت پێدەکات کە لە ناونیشانەکەدا هاتوون، پاشان کورتەیەك لە بارەی سـورەتەکانی حەوامیمەوە، دواتـریش ئەو ئایەتـانە دیـاری دەکـات کە هەمـزەی پرسـیان تێـدا هاتووە و واتاکانیان دەخاتەڕوو.

ووشە کلیلەکان: واتاسازی، هەمزە، حەوامیم، پرس.

The meaning of the (interrogative hamza) in "Al-Hawameem surahs

Awder Ahmed Abdulla
College of education-shaqlawa, Arabic department, Salahaddin University-Erbil
awder.abdulla@su.edu.krd

Abstract
The (interrogative hamza) is one of the most important structural methods required in the Arabic language, due to it is frequent occurrence in the "Holy Qur'an" and the "honorable Prophetic hadiths", and "the words of the Arabs in poetry and prose". Those formulas in daily discourses, as well as prohibition, imposition, obligation, and permissibility..., in legal, jurisprudential and doctrinal issues. This study is an attempt to reveal the significance of the (interrogative hamza) in "Al-Hawamim surahs". Our study begins by defining the terms mentioned in the title, then a short overview about the "Al-Hawamim surahs", and then delves into the verses in which the "interrogative hamza" is mentioned in order to reach the connotations that this method plays within those (surahs).

Keywords: denotation, hamza, hawamim, interrogative.